الماركسية والأخلاق

بقلم
الدكتور
سليمان
بشير

هنا نصل الى الدور الذى يلعبه البرنامج السياسى تكشف واعي ودافع في عملية التحول تلك، والذى يمنح اساسا من حتمية كون الخارطة السياسية عبارة عن تكشف للقوى الاجتماعيةالتي تتمحور وتتشكل حول هيكل الصراع على وسائل الانتاج الاساسية. والعلاقة الجدلية بين ذلك البرنامج وارضية علاقات الانتاج بتشكلاتها الاجتماعيـــة والتكثيف السياسي للقوى المادية الفاعلة في ذلك الصراع هي ما تحول ذلك البرنامج الى ضرورة تاريخية.

من ذلك يتضح ايضا ان نشاطنا ووعينا السياسيين يتشكلان جانبا من جوانب اخلاقياتنا الاجتماعية الفاعلة، من حيث كونهما يتمان بالضرورة عن وعينا ونقيمنا لفاعليتنا في اطار محيطنا الاجتماعي. وذلك بمعنى تقسيمنا الواعي والفاعل (ايجابيا) لكوننا ذلك الجزء الهام من شبكة التشكيلات الاجتماعية التي تنسجها من خلال نشاطاتنا اليومية، بشكل يكثف هذه النشاطات ويعطي وعينا لها بعدا نظريا. غير ان وعينا للجانب الاخلاقي في نشاطنا السياسي يبقى هامشيا بسبب الهامشية المتضمنة في كل تكشف وارتقاء لولبي – نوعي للوعي، حيث انه لا يتخطى كونه انسجـــة فوقية خاصة تفرضها ارضية الواقع المادي وعلاقات الانتاج الخاصة بتلك الارضية وتكون منسوبة اليها.

وهنا يدخل البعد الجدلي مؤثرا في عملية تحويل تقييماتنا الاخلاقية الفوقية تلك الى ذلك الجزء الهام "والجوهري" من نشاطنا اليومي بحيث يصبح هي المعاييـــر الوحيدة التي تحدد من خلالها ردود افعالنا لواقعنا الملموس وهذا البعد الجوهري هو ما يعطي معالجة المسألة الاخلاقية من منظور الجدل المادي (اي الماركسية) اهميته القصوى وذلك على الرغم من علمنا بان لردود الفعل تلك بعدا موضوعيا يحتم خروجها عن فلك سيطرة وعينا لها. فهي ليست ذاتية صرفة، كما انها ليست موضوعية صرفة – هي استغراقنا ووعينا ذلك الاستغراق بتفاعلهما التامي والمتكامل (من ناحية كونهما ذاتا وموضوعا)، والمادي والنسبي..

هنا يجدر السؤال حول الفائدة المرجوة من طرح مادي نسبي ومتكامل كهذا لمسألة الاخلاق، او قل اية مسألة يبرز فيها البعد الذاتي الفاعل. صحيح ان طرحا كهذا لا يتعدى كونه مدخلا منهجيا لمؤثرات اساسية في مجال دراسة الفهم الماركسي لمسألة كهذه. غير ان ذلك في ذاته يتحتم من واقع طغيان البعد الذاتي وبروزه (بنسبة معينة) في مواقفنا الاخلاقية. اقول بنسبة معينة لاننا لسنا ولا يمكننا ان نكون دواتا مطلقة وحسب. ولو كنا كذلك لفقدنا الذي مقتضيات التواصل البشري الذي يشكل النسيج الحضاري الضروري للنسبة الاجتماعية التي ترتبطنا في وجودنا الاجتماعي – كموضوع.

والعنصر الهام الثاني في هذا الوجود هو المعطيات الطبيعية التي تشكل القاعدة المادية لذلك الوجود الاجتماعي في حين تشكل علاقات الانتاج الاساسية حلقة هامة تربط بين تلك القاعدة ووعينا (الجزئي كذوات منفردة والكلي ككيانات فاعلة) كما اشرنا سابقا.

ومحاولتنا هذه في ابراز المؤشرات المنهجية الاساسية لاعطاء اي تقييم لجانب الاستغراق الذاتي الفاعل في المسألة الاخلاقية وربطها بنهج عام لدراسة علاقات الانتاج الاقتصادية والاجتماعية كاحدى البنى الفوقية (والجوهرية في آن واحد) يعني بكلمة اخرى ابراز الناحية الموضوعية في مسلكياتنا الذاتية تلك. والماركسية هنا تفوق جميع المحاولات المتناقضة في هذا المجال. فهذه الاخيرة تتراوح ابدا بين ليبرالية النموذج العقلاني المطلق والتي وان اتصفت بتماسك منطقي معين فانها في اقصى الحالات تجاهلا بفقر الى الميزة العينية والملموسة في بحثها كاسلوب وتنحصر "علميتها" في "التبديد الاكاديمي" لموضوع البحث اي اخراجه من حيز فاعليته كليا وبين الردة الذاتية المطلقة (كاسلوب بيتشه والوجوديين الكفرة) الذي يفقد طرحها معنى وجوده اساسا ووصوله الى الابسورد (الكامن في استحالة نقل التجربة الذاتية مكانا وزمانا – او حتى التحدث عنها – ومن هنا النفاق الاساسي).

وبين هذين المنهجين المطلقين (قلنا ان احدهما يفقد خصوصيته – وبذلك جدوى توجهه ايضا – والثاني يفقد شموليته فينزلق الى الابسورد) تقف الماركسية العلمية كطرح متكامل لفاعلية الذات والموضوع او اذا شئتم "موضعة" التجربة الذاتية. وهذه "الموضعة" تكسب الفكر الجدلي قدرة فائقة على الجمع بين خصوصية تلك التجربة من ناحية وبين المؤشرات الشمولية التي تتيح نسبتها الى تجارب اخرى عن طريق التراكم – فالتخطي الى النوع كظاهرة ثم ان تلك الشموليات التي تتيح اعادة الطرح الموضوعي – الاجتماعي لذات التجربة تنبع من ذات الفهم الماركسي العقلاني للكيان الاجتماعي المادي الذي يكون موضوعا ليس فقط لفهمنا اياه وانما لتغييره وذلك لاستحالة الفصل المدرسي (سكولاستيكي) بين وجودنا كذوات فاعلة في ذات الكـــــان.

ولكي لا يبقى نقاشنا مجردا ناخذ السعادة على سبيل المثال لا الحصر. من الناحية الاولى يمكننا القول بان ما اعيشه عندما اقول اني سعيد هو انني امر في تجربة او حالة انفعال مهمة. غير ان الحالة مواصفات معينة تحول دون كونها كاية حالة اخرى – اي ان عنصر التجربة الذاتية يكمن في حالة كهذه. هذا من ناحية، ومن الناحية الاخرى فان لتلك التجربة مدلولات اخرى تعكسني من ان اعي حالات كهذه دون ان يعني ذلك بالضرورة كوني سعيدا.

وهذين البعدين يعطيان وعيي ونقيمي لحالة السعادة او كل الحالات المشابهة (اي لمقولة السعادة) صفة النسبية من ناحية والعينية المادية من الناحية الاخرى. وتلك النسبية نابعة عن تخطي وعيي من حالة سعادتي الخاصة الى الى كل الحالات التي اذا صادفت الاخرين علينا ترجمتها راسا واتخذت موقفا تجاهها من ناحية واصطلحت اطلاق تعبير (رمز) معين (بكلمة سعادة ذاتها) مع تقييمي بان الاخرين يفهمون ما اعنيه (بحدود نسبية معينة) من الناحية الاخرى، هي ما تعطي السعادة بعدها الموضوعي.

نلاحظ هنا ان لاعطاء تعابير او حركات او اشارات معينة صفة المراسلة لتلك السعادة الموضوعية بعدا يستطيع بواسطته الوقوف على ذلك الجانب الاخلاقي في لغتنا. غير ان المسألة تتعدى كونها كذلك، اذ لا يمكننا ان نعطي للسعادة وجودا اونطولوجيا (اي من حيث هي سعادة). فالسعادة هي سعادتي انا بالذات وسعادة كل الذين نفترض انهم يمرون في حالات تماثلها، وهنا يبدا الفرز الذي يتحتم بشكل جدلي من تخطينا لهذه الحالة "السعيدة" الخاصة او تلك من ناحية ولاستحالة وجود السعادة بشكل اونطولوجي خارج عن وجودي كبشر سعداء من الناحية الاخرى. وذلك مما يمكنني من القول بانني سعيد ليس فقط الان وهنا (بشكل عيني وملموس) فقط وانما بشكل اعلم فيه (بنسبة معينة) انك ترى ذلك تماما.

ثم ان سعادتي تلك (طالما تفقد وجودها في ذاتها) هي جزء من كيان فاعل هو انا. وفاعليتي في هذا الظرف او ذاك تحتم تحديدا ملموسا (وعينيا) اي ماديا لمركبات تلك الحالة من عوامل وتعابير ونتائج لا تتاثر بورودها (كوقائع عينية وكاحتمالات) فقط وانما تتخطى وجودي في ذاتي انا عن طريق فاعليتي الاعم والتي تنقلها بدورها الى الاخرين. والبحث في تلك المركبات موضوعيا ينقلنا الى البحث في وجودي في المجتمع – المحيط – الموضوع، الذى احيا فيه كانسان سعيد.

لن اطيل البحث حول الميزات الخاصة التي تختلف بموجبها حالات السعادة بدوافعها وتعابيرها ونتائجهـــا باختلاف هذا الظرف الخاص او ذاك لورودها كظاهرة فذلك من شأن البحث العيني في كل من تلك الحالات او ما يشبهها. والنقطة الهامة التي تطرحها الماركسية هنا هي علاقة تلك الحالات كعوامل ومدلولات تؤثر وتتاثر بالبنية الاجتماعية (التي هي جزء منها) والتي تدور حول محاور اساسية من وجودنا الاجتماعي – المادي الفاعل. وهذه المحاور هي في الاساس تعيننا وراء السيطرة على وسائل انتاجنا والتشكيلات الاجتماعية التي تنتج عن ذلك السعي تاريخيا كما قلنا. اقول "في الاساس" لان العلاقة بين تجربة الانفعال الذاتي (او العبر – ذاتي كما اتفقنا) وبين ذلك السعي المادي ليست ولا يمكن ان تكون دائما علاقة مرئيـــة ومباشرة (اقول ذلك وانا اتوقع ان يتوجه الى احدكم بالسؤال التالي: ما علاقة ابتسامة او رسالة تصلنا من عشيق الملموسة في كل حالة وحالة هي في النهاية ما يميـــز الاخلاقيات الوجودية المثالية (خاصة المتدينة منها) عن تلك الماركسية والمادية..

او عشيقة والسعادة التي تبعثها فينا بعلاقات الانتاج). كما وارجو الا تضطروني الى الرجوع مرة اخرى الى مسألة الزخم والاستمرارية الذى تكتسبه (كخوفي من حالات البرد الشديد على الرغم من دفء الطقس، او فرحي لاستلام هدية من صديق لي على الرغم من انها ليست ذات قيمة "مادية" تذكر – والرمزية في ذلك او تبيان العلاقة بين محبس الخطوبة او المهر كرمزوبين تكفل الرجل باعالة زوجته، الخ

هنا نصل الى مجال لا حصر له (او للنقاش حوله) من التفاوت في الموقع والزخم زمانا ومكانا بين تلك الانسجـــة الفوقية المختلفة (كالايديولوجيا والايمان والحرية والخوف .. الخ...) وبين قاعدتها المادية. وهذه مجالات بحث قائمة بذاتها ولا مجال لمعالجتها هنا. لقد حاولت في هذه المحاضرة اعطاء مقدمة منهجية نستطيع من خلالها استشفاء الفهم والتقييم الماركسي للاخلاق اي للقضايا التي تمس البعد الانساني الفاعل في عملية الانتاج البشرية – من منطلق استغراق الفرد في تلك العملية، وامكانية الارتقاء او التكشف الاجتماعي والمنحطي لتلك الفردية.

بقي ان اشير هنا الى نقطة اخيرة وهي المسؤولية التي تتحتم من ذلك الاستغراق – اي كون الانسان صاحب عالم الذي يعيش فيه ومصدر احكامه الاخلاقية. وكون الارض التي نعيش عليها هي المصدر الاول والاخير لذلك الاستغراق يشكل بدوره المخرج الوحيد لمسألة التعريب بتطابق وجود ووعينا، اي التزامنا، بذلك الوجود – اي تطابق وجودنا في ذاتنا ووعينا ذلك الوجود وهذا التطابق في نظري لا يمكن الا ان يكون نسبيا – وبورود عامل الفاعلية البشرية فيه فانه يصبح طموحا ليس الا. ونسبة هذا الطموح الى ارضية المادي

ذكاء

هو السمة العالمية
يدنا نحن سكان
الاحياء بهذا العام
ثالثا؟ اين كتاب
مرحمه الطفل؟
وحدثنـــه.
له من اساليب
درجت عليه
كانت دائما
الطفل بالمدلة
مستقبل ايامه
سيره نظام
حمية النابات
بعد دوره
ورسهم على كتابه
للاشف الشديد
بعد السماء عن
ومجتمعاتنا
سمع انقضاض
على للاستمرار
خاصة بالاطفال
الطيات لانها تامت
وحده ولم تلق
على الابواب.
معا مرحلة
طالما لا تقوم
ومؤسساتنا
هذه تولى
الحاجة لهذه
لا استمر مثل هذه
مشاركة بذلك كل
والربوط التي ترتفع
طموحاته المصرية
ملاح المستقبل؟.
؟..؟..

أيوب صابر

ان القى حتفي

شاعر حسين مهنا

شاعر حسين مهنا احدى
ا – مجموعة السعيد
سرى حما" من اصدار
في عكا.
الديوان زاخرة بالشعر
عن معاناة الانسان
وتمسه في وطنه..
وضع المحاولات لطمس
، واسراعه من ارض
.. كل ذلك يلعـــد
وسية من الظلم وتعدده
والتعقيد..
لعناوين هذا الديوان،
قصيده:::
ان القى حتفي
الخالد يا اطيب حب..
عاطفتي..
اني الظلم..

لو حممت كل وحوش الارض..
تزمجر من حولـــي..
لو هاجمني تنين ذو الف ذراع...
لو نهشت لحمي قطعان ذئاب مسعورة
لو قطعوا من لحمي كتلا،، القوها
للقطط الجوعى..
ما طرفت لي عين.. لو اودعت
السجن، وادخلت غياهب زنزانات،
الفاشست القتلة..
لو القوني في حبّ النار.. ما
اخلتحت في جسمي عضله..لو سارت
فوق عظامي الهشّة دبابـــات،،
تلـــو الذبابات..
لو وشمت ظهري الاف الطعنات ما
خرجت من صدري الاهات.. لو
جاء الموت باقبح صورة شيطان،
الاف المرات..
قسما ما ارتعشت في جسمي شعره
لكن يا حبي الخالد يا اطهر حب
اخشى ان امضي .. من غير وداع
لرفاق الدّرب..
اخشى ان انقى حتفي .. وانا من
غير بطاقة حزب..

متحف الفنون

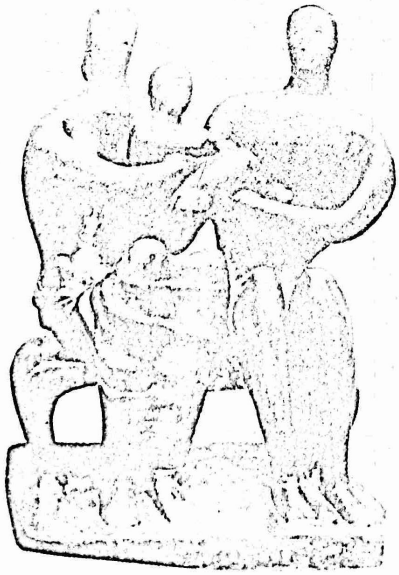

النحات الانكليزي هنري مور

■ ولد النحات الانكليزى هنرى مور عام ١٨٩٨، وعكس في اعماله تمزق الروح الانسانية في المجتمع البريطاني والغربي عموما واحساس الفرد بالغربة والضياع والوحدة تجاه قانون الغاب الذى تفرضه الاحتكارات وعكس مور كذلك في اعماله اشواق الانسان لعالم نظيف يغمره السلام والجمال والسعادة.

وقد تميزت اعمال مور في الشكل والمحتوى بالتعقيد والتناقض والغرابة. وانحدرت بعض منحوتاته في هوّة التكلية الخالية من المعنى.

ومع ذلك فقد تضمن منهجه في النحت مرونة وتوازنا وتناغما مرهفا، سما باعماله الى ذرى الملاحم الاغريقيـــة.

وبالرغم من ان مور معروف كنحات الا ان تخطيطاته الغرافيكية تعتبر من اكثر الاعمال تعبيرا خاصة تلك التي صوّر فيها سكان لندن وهم يحتمون في انفاق المترو من قاذفات القنابل الالمانيـــة.

ك

اخبار ثقافية

الاوساط الادبية
مرور ١٥٠ عاما على
لوسيوى، ذلك الادب
روايات تطورا جديدا
تعقد.
ميتوجان لوكاريو
الصمت في الافلام
وقد نوبل عدد منها
كفي بعرض مظاهر
جديد، دون نسيان
التواضع.
هذا الميتوجان

احدها بولوني واسمه "غرفة مطلة على البحر" يناقش فيه المؤلف مسألة الحريد الانسانية.

والفيلم الثاني سوفياتي "مدينة ايارا الصغيرة" من جورجيا، وهذا دليل على اعطاء الاهمية لسينما الجمهوريـــات.

وقد نوبلت افلام الدول الاشتراكية بالاستحسان والتعاطف من الجمهور

★ صدر عن دار ابن رشد ببيروت رواية "عرس بغل" للظاهر وطار، وهو من ابرز الروائيين العرب واغزرهم انتاجا.

★ صدر عن دار ابن خلدون ببيروت كتاب "الفولكلور والاساطير العربية" لشوقي عبد الحكيم.

★ صدر للشاعر معين بسيسو ديوان باللغة الايطالية وعنوان الديوان "الوالد" وقد قدم له الاديب